

أمثال القرآن

[496] الشرح والتفسير (وَضَرَبَ الْإِسْمَ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ

فِرْعَوْنٍ). كانت هذه المرأة تعيش في جهاز ملك هو أحد أكبر الملوك ظلماً، ورغم أنها كانت تعيش في ظل نعيم ورفاه عالي إلا أنها وجدت نفسها في مفترق طريقين، هما: الدنيا والآخرة، فإسماء أن تختار العيش في دنيا سعيدة مرفهة، وإسماء العيش بقرب الله ودخول الجنة. اختارت القرب الإلهي ورجحته على الحياة الدنيا، وإسماء جعلها في أفضل الجنان عنده، وعَدَّ حياتها نموذجاً ومثلاً لكل النساء بل حتى الرجال. رغم أن آسية بنت مزاحم كانت زوجة فرعون الطالم وقريبة منه إلا أنها اختارت ضابطة الإيمان بالله، وكونها زوجة جبار كفرعون لم يثنها عن اتباع الحق، ولم يجعل منها امرأة تعيسة، كما لم يؤثّر القرب بالعباد الصالحين في زوجتي نوح (عليه السلام) ولوط (عليه السلام)، ولم ينقذهما من عذاب يوم القيامة، بل إحداهما غرقت كابنها، والاخرى دفنت تحت تلٍّ من الأحجار الإلهية؛ وهذا كله لأجل أن الانتساب والعلاقة لا دور لهما عند الله ولا يترجحان على الضوابط، فهي الحاكمة في جهاز الحكمة الإلهية. (إِذْ قَالَتِ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). حياة آسية بعد إيمانها برب موسى أُسوة وقدوة في كل لحظاتها، وهذه الآية تشير إلى بعض من تلك اللحظات التي عاشتها تلك المرأة العظيمة، وهي لحظات كونها ترزخ تحت أشدّ الضغوط ومختلف أساليب التعذيب، فضرب الله مثلاً بهذه اللحظات. أصبحت آسية أُسوة في الصبر والمقاومة، وفي أحلك اللحظات وأشدّها رفعت يديها إلى السماء طالبة من الله تعالى ثلاث طلبات: الأولى: (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ). كان القرب إلى الله تعالى يشكّل أول طلبية طلبتها هذه المرأة، وهو شيء أرفع من الجنة، ولا يمكن قياسه بالجنة.